الجمهورية العراقية
وزارة الاعـلام
مديرية الآثار العامة
بغـداد

سومر

مجلة علمية تبحث في آثار الوطن العربي وتاريخه

الجزء الاول والثاني | ١٩٧٥ | المجلد الحادي والثلاثون

ثبت الجزء

الصفحة		
أ	تقـديم	الدكتور عيسى سلمان
٣	ثم جاء الطوفان	الدكتور فاضل عبدالواحد
٣٩	دراسة نقدية لمسلة من بدرة	الدكتور صبحي انور رشيد
٥٥	الالهيات البابلية	الدكتور عبدالهادي الفؤادي
٧٥	تحريات وتنقيبات أثرية في دولة الامارات العربية المتحدة	ربيع القيسي
١٥٧	الصيانة واساليب التسقيف في بوابة ادد الآشورية	الدكتور عادل نجم عبو
١٦٥	المـــدائن	الدكتور طارق مظلوم
١٧١	كتابات الحضر	الدكتور واثق الصالحي
١٨٩	مخطوطتان مزوقتان من القاهرة	الدكتور عيسى سلمان
١٩٩	الصيانة الاثرية في واسط	عطا الحديثي
٢١١	المنبر في العصر الاسلامي الاول	الدكتور غازي رجب محمد
٢٣١	الاسرة العباسية في بغداد	الدكتور صالح أحمد العلي
٢٣٨	التنقيب في شهرزور	اسماعيل حسين حجارة
٢٧٥	تنقيبات البعثة الآثارية العراقية في مستوطن الدربحانية ـ امارة رأس الخيمة ـ دولة الامارات العربية المتحدة	منير يوسف طه
٣١١	خزن وصيانة المخطوطات	اسامة ناصر النقشبندي

التقـارير والانبـاء والمراسلات

٣٢٣	سقوط بغداد والخليفة المستعصم على منمنمة من تبريز	تعريب الدكتور فوزي رشيد
٣٢٧	مفهوم الزمان والمكان في وادي الرافدين القديم	تعريب الدكتور وليد الجادر
٣٤٥	آثار متفرقة أحرزها المتحف العراقي	كمال منصور عبادة
٣٥٩	الزحف العمراني واثره فى ازالة معالم حضارية	عبدالصاحب الهر

مفهوم الزمان والمكان
في وادي الرافدين القديم

بقلم : مدام ايلينا كاسان
ترجمة : الدكتور وليد الجادر

مقدمة المترجم :

في مؤتمر عقد في باريس كان في الواقع: الدورة الواقعة في الاسبوع الثامن والعشرين الخاصة ببحوث المكان والزمان حسب مفاهيم الشعوب والفلاسفة ، والقت فيه الاستاذه ايلينا كاسان Elena Cassin في مركز البحوث العلمية الوطني في باريس، محاضرة تحت عنوان : المكان والزمان في وادي الرافدين القديم[1] . وبمناسبة حضوري واعجابي بالوثائق المقدمة من قبل الاستاذة المحاضرة في وقتها ، فقد قررت ترجمة محاضرتها لتمكين اخواني من الاطلاع على راي الاستاذة القديرة في هذا الحقل من حقول العلم والفلسفة وفي الوقت نفسه لاتاحة الفرصة امام قراء العربية عموما للتعرف على اساس مهم من اسس فهم الحضارة في وادي الرافدين بجوانبها المتعددة ، ذلك هو دراسة مفاهيم العراقيين القدماء للزمان والمكان وعلاقة هذين العنصرين المهمين بابداعاتهم الحضارية، واؤكد على اهمية دراسة المكان والزمان وارتباطها بالماديات من الاشياء وكذلك بالقضايا النفسية والاسطورية عندهم ، ان لذلك اهمية خاصة تتعلق ايضا بالحياة اليومية للفرد العراقي وفلسفته للماضي والحاضر والمستقبل هذا اضافة الى الاهمية المعلقة على هذا الموضوع لارتباطه الوثيق بمفهوم الديانات في

---

(١) القيت المحاضرة في بداية عام ١٩٦٧ ونشرت في عام ١٩٦٩ في مجلة :
Revue de Synthèse : III No 55 - 56. Juillet - Décember : 1969.

وادي الرافدين القديم وما لهذا الحقل ومكملاته من اهمية بالغة في سبيل هضم وفهم جوانـب الحضـارة العراقية القديمة او غيرها من الحضارات في العـالـم القـديم[١] .

كذلك تبرز اهمية هـذا الموضـوع لارتباطـه بشكل مباشر بنتاجات الفنون والاداب في هذه المنطقة ايضا ، ونعـرف حتى اليوم اهمية دراسة عنصـري المكان أو الفضاء والزمان في الفنون المعاصرة ، وقـد لاحظنا اهمية هذين المنطلقين في فلسفة النتاجات الفنية بالنسبة للفنانين في معظم العصور وفي معظـم مناطـق العـالم .

نص المحاضرة :

نظرا لسعة الموضوع فقد قررت الوقوف عنـد شواهد رئيسية تتعلق بمفهوم المكان والزمان عنـد سكان وادي الرافدين القدماء وذلـك انطلاقـا مـن الوثائق المادية المتجسدةفي الادبيات المكتوبة بالمسمارية ومنها تعابير تتعلق بالموضوع مباشرة ومنها ايضا مايتعلق بالادبيات ذات الطابع الاسطوري .

اوضح اولا تحديد مفهـوم الزمـان كتابـع للسنين وهذا بالنتيجة زمان يعبر عنه ، انه ذو خـط طولي ، ومستقيم . ان هذا الزمان تاريخي تؤيـده بالدرجـة الاولى قوائم حـكم الملوك[٢] التي يؤرخ قسم منها من النصف الاول للالف الثاني ق . م . ان هذه القوائم تذكر سني حكم ملوك وادي الرافدين منذ الفترة المسماة بفترة ما قبل الطوفان ، وفيما يتعلق بالالهة فان تتابع وتسلسل نسبهم وسلالاتهم تؤرخ على نفس النهج السابق ، ويكون ذلك منطلقا من اصـل الالهة الاولى . وهكذا نجد من جملة قوائم نسـب الالهة القائمة التسلسلية المنسوبة الى الالهة انو الـه السماء ، حيث يتوفر فيها ذكر واحد وعشرين زوجا من الاباء والامهات بشكل متسلسـل بينما نجـد ان تسلسل النسب للالهة في اسطورة الخليقة لا تذكـر اكثر من ثلاثة ازواج . لقـد جرت عبادة الاجـداد القدماء في وادي الرافدين في العصر المسمى بعصـر الالهة منذ عصور ما قبل التاريخ ، واكتشفت جماجم واقنعة ملونة في مراكز حضارية معروفة في الشرق الاوسط منها تل الرمـاد (قرب دمشق في سوريا) وفي جريكو في الاردن وفي مواقع من فلسطين . وان مفهوم ممارسةتقديم القرابين بالنسبة للاجدادلعب دورا مهما في طبيعة الحياة الدينية في وادي الرافدين . ان اليوم المعروف بيوم تقديم القرابين الخاصة بالاموات والمسمى في الاكدية Um Kispim كان محددا ومعروفا في الدورة القمرية او السنة القمرية[٣]. انه

---

(١) انظـر ترجمتنـا الى العربيـة لكتاب البروفسور جان بوتيرو، Jean Bottéro :« الديانة عند البابليين » من الاصل الفرنسي والمطبوع على نفقة جامعة بغداد ، ١٩٧٠ . « المترجم »

(٢) ان هذه القوائم تذكر سني حكم الملوك الذين حكموا في المدن الحضاريـة المهمـة في القسم الجنوبي مـن وادي الرافدين وتقسم فترات بقـاء هؤلاء الملوك في حكم هذه المدن بالمبالغة في عدد السنين ويرد مثلا جدول باسماء ثمانية من هؤلاء الملوك حكموا فترة ٢٤١٠٠٠ سنة . انظر للتوسع في هذا الموضوع، طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة . ج١ (١٩٥٥) ط٢ ص ١٠٣ (المترجم) .

(٣) انظر للتوسـع في موضوع السنة القمرية وتقسيمات السنـة والشـهر والاسـبوع في وادي الرافدين كتاب البروفسور بوتيرو : الديانـة عند البابليين La Relijion Babylouienne المترجم الى العربية مـن قبلنا وذلـك في الصفحات ١٥٣ ... (المترجم)

اليوم المسمى « "bubbulu" » وهو اليوم الذي يصبح فيه القمر معتما تماما • ان تقديس الاجـداد مرتبط بتقديس الالهة ، والاخيرة نعرف ارتباطهـا بعوائـل خاصة بها وتسمى ilâni وهذا التقديس اخذ بمفهومه الابن البكر عن الأب بنفس المفهوم وبنفس الممارسة التي يقوم بها الاب ، بان يعهد لابنه البكـر ختمه الاسطواني ، وارتباط الاخير بالتسلسل العائلي معروف : ذلك ان الختم هذا يعتبر سر ومفتاح تفاسير الاحلام والرؤيا وخلال ذلك نعرف ان رؤية الشخص في الحلم شخصا اخر وهو يسرق ختمه الاسطواني فمعنى ذلك ان ابنة هذا الشخصـ او ابنه سيمـوت كذلك فمن الناحية اللغوية نعرف بان حالات الظرف في الاكدية مثل dâr تحمل صفة الاستمـرارية وكذلك الحال بالنسبة darisham, darish التي تتضمن نفس مفهوم حالة الظروف السابقة • والحال نفسه يكون بالنسبة للموصوف والمنعوت مثل dûru التي تحمـل صفـة الاستمرارية و dâru التي تعني السلالة او النسل • والصفـة المتمثلـة في dâru التي تعني الخالد والدائم لا يحتمل ان تشير الى فترة محددة خاصة مثل ما نجده في مفهوم الكلمة العبرية dûru) ولكن تشير dâru الى فترة مطلقة غير محددة • وتقارن ذرية او نسل الفرد بماء ينبوع دائم التدفق وبمعنى اخر ينبوع دائم او خالـد الجريان :

"Kîma mê naqbi dârî zâra dârî"

مثل الينبوع ذي الجريان الخالد الذي جريانه يكون ابديا »[1]

وكذلك نجد في الادبيات المسمارية المكتوبة ان الملوك يمنون انفسهم ببقـاء اسمائهم خـالدة ودائمه (dârû) ، وبهذا الأمل نجدهم يزيـدون مـن اهتمامهم ببناء معابد « خالدة » للالهة[2] ، ومن ذلك الاهتمام الخاص للملك الاشوري سنحاريب بما ابتناه وشيده للاله شمس • وفي الرسائل التي ترجع للعصر البابلي القديم نجد احيانا ان الرغبة في ترديد الحكم والاقوال ذات الطابع اليباني ليست خالية من مفاهيم خاصة معبرة : ـ

« ليت سيدي يستطيع البقاء ابديا ، مثل بقـاء السماء والارض » •••

وفي تعابير اخرى نجد ان الصفة (dârû) تشير الى معنى « دائما » في نطاق الكلام عن الافـراد مـن البشـر • وفي رسالة ترجـع الى العهـد البابلـي الحديث[3] نجد التعبير التالي : ـ

« تستطيـع الالهـة ان تعطي الملـك الى الابـد (ana darich) وللمستقبل (ana umê arkûte) يوما بعد يوم ، وشهرا بعد شهر ، عاما بعد عام ، نشوة ملوك وادي الرافدين تقريباً • كذلك كان الهدف من بناء المعابد وبناء الوحدات السكنية الاخرى ابتغاء رضى الالهة وفرحها (المترجم)•

(١) Scholmeyer, Sumerisch - babylonisch Hymnen und Gebete an Samar. No 16, III, ligne 9.

(٢) نعرف ان المعابد تعتبر بالنسبة لمفاهيم سكان وادي الرافدين القدماء ، بيوت الالهـة على الارض ومفهوم البناء بشكل عام لعب دوراً رئيسياً في المنهاج السياسي المقدم قولا وتنفيذاً من قبل كل

(٣) L. waterman, Royal Correspondence of the Assyrian Empire Vol. II No 1410. ligne 6 du revers.

القلب ، والصحة الجديدة ،والحبور والفرح والحكم العادل » . وتعني ترجمة «للمستقبل » بالضبط حسب الترجمة الحرفية للتعبير الاكدي : للايام في المستقبل والتعبير الذي يشير في الواقع الى المستقبل warkâtu يعني : الشيء الذي هو واقع في ظهر او « خلف ظهر الفرد » . بينما تشير الكلمة Fanânu الى الحدث الواقع في الماضي ، والكلمة متأتية من اصل فعل يعني « مقابل » او « امام » . وهكذا ففي مفردات وتعابير خاصة بالمكان نجد ذكرا مشابها يعني الماضي والمستقبل بنفس الوقت . والمستقبل اذن هو الشيء الذي يقع في خلفية الفرد ، بينما الماضي هو الـذي يقع بين عيني الفرد او امامه ، وهكذا فان الاجداد او الاسلاف هم الذين يسيرون في المقدمة اوحسب التعبير الاكدي : « الذين يسيرون في الامام "ālikû i pâni.

اما اذا اريـد تثبيـت التعبير القانوني للوراثـة والتسلسـل العائلـي فاننا نجـد استعمـال التعبير warkâtu التي تعني « ما هو في الخلـف » . اننـا نجد هذا التعبير بشكل دائم مستعملا فيما هو خاص بالقضايا القانونية التي ترتبط ايضا بقضايـا العقـود الدائره بين الافراد . ان تحرير ابرام عقد ما (وهو عملية قانونية نفذها الافراد فيوادي الرافدين بتراض وبشكل واع ومدهش يعني ايضا معاناة معينة يكون فيها تبديل للزمن في المستقبل ، أي تطويل الحاضـر في المستقبل ، وبمعنى اخر القاء الحاضر في المستقبل.

اننا نجد روحية الديمومة مستخدمة في صيـغ العقود المتبادلة بين الافراد ومن نماذج ذلك :

مثلما «يشتري الاب لابنهاشترى لمشتري الىالابد»
"Kîma âbum ana mâri isham ana dârîtim isham".

وبجانب التعبير الدال على الزمن المستمر بشكل ستقيم طولي والمتفق بصورة معادلة ، تتوفر ظواهر معينة من فترات ذات طابع دوري ، حيث نجد بعـد مرور فترة طويلة نسبيا تعود هذه الفترات الى نقطة انطلاقها الزمني الاول ، ونفهم ايضا بالمناسبة ان الفترة الزمنية الدورية يشار اليها بتعبير واسع المعنى وصعب الفهم السريع ، فالتعبير " BAL " ، في السومرية يعني في الاصل شيء مادي يدخل ضمن الاستعمالات اليومية الا وهو « المغزل » . والتعبير الاكدي الذي يقابـل هـذا التعبير والذي اشتق منه من الناحيـة اللغوية هو « Palû. » الذي يعني ايضا الزمن الدائر ، اي ان الزمن في حالـة دوران حول نقطـة مركزية . وبالنتيجة يعني الفترة التي يتم فيها انجاز عمل معين ومن ذلك ، فترة حكم ، وسنة حكم وفترة حكم سلالة بكاملها " palû " تعني ايضا مراحل الزمن الطويلة نسبيا وذات الطابع المتشابه ولكنها مثل ما يفعله « Palû » من تغيير ، تكون هذه المراحل متغيرة ومنفصلة بوضوح الواحدة عنالاخرى،وتكتسب صفة « Palû » ايضا مثل " dâr " اي انهـا تشير الى فترة زمنية ذات طابعاستمراري . اننا نجد مثلا التعبير الدال على هذا في اصطلاح يتعلق بعالـم القانون وذلك منذ العصر البابلي القديم : الذي يعني بالضبط الاستمرارية والتبديل ana dûr u pala.

ونشير الى ان مسؤولية بائعالعقار ثابتة مثـلا ، انه ملزم الى الابد تجاه المشتري بعدم مطالبته باي من المسببات وعدم مطالبته ايضا بالعقار ثانية ، ويرد في نص ، وبالنسبة للزمن القادم ، ولكل الاجيال اللاحقة

على البائع عدم المطالبة وعدم تقديم اي شكوى تتعلق بالعقار المباع ، ونشير ايضا الى اننا نظل دائما في حدود فترة او الزمن التاريخي في حالة استعمال كلمات هي من صيغ dāru , pālu وفي حالة اجتيازنا الاختبار الخاص بالذات والكونيات التي تمدد الزمان

(١) ان التعبير هــذا جــاء في رقيم طيني اكتشف مؤخراً وهــو مــن الرقم المكملــة لأسطورة أترخاسيس وللرقيم المكتشف ايضا علاقــة بقصــة الطوفان ، ويتعلق ايضا بالرقيم الحادي عشر مــن اسطورة كلكامش والفضل يعود في اكتشاف وترجمة وتحليل القطــع المكتشفــة مؤخــراً الى البروفسور M. W. G. Lambert ولقد اقترح ايضاً البروفسور Jean Boitéro ترجمة لها خلال محاضراته بكلية الدراســات العليــا في باريــس وملخص اســطورة أثرخاسيس بعد ترجمــة ، جان بوتيرو : البحــث في اصل الانسان ومعنى الوجود البشري والحياة البشرية، وحسبما يفسرها مؤلف الاسطورة فان خلق الانسان كان بهدف خدمــة الالهــة ولأجل استفلال ثرواتهم لفائدة الالهة والاستعاضة عن خدمة الالهة الدنيا او الثانوية ،وتنتهي هذ الاستعاضة بثورة عارمة تكون نتيجتها حصول الالهة الثانوية على ترقيتهم اولا ثم انهاء دورهم كخدم للالهة الكبار · ويمارس البشر من جهة ثانية نشاطاتهم على الارض واستغلال خيراتها لحساب الالهة · ولكن نتيجــة لتزايد نفوس البشر والالهة ايضا تحدث ضوضاء وفوضى كبيرة يكون من شأنها اقلاق راحة الطبقة العليا من الالهة وهي ذات السن الكبير والمحتاجة الى الهدوء والراحــة وبهذا يكون قرار الالهة « انليل » (قائد الالهة الى الحرب ومنذ قرارات العقاب في الدولة الكونية والمساهم في اعمال العنف المشروعة ، وهذه جوانب بسيطة من اختصاصات هذا الاله) تقليل وتقليص نفوس الافراد من البشر ، لقد احل عليهم المرض فعلا والمساهم في خلق ويكون رد فعل الالــه المنفــذ فعلا والمساهم في خلق البشر ، وهو الاله أنكي (اله الحياة ويسمى ايضاً ايسو ، الذي يعني بيت الايسو اي بيت الماء ، انه الاله السومري الذي كانت عبادته الرئيسية في مدينة اريدو « ابو شهرين » ولقد عرفه البابليون تحت اسم « أيا » وارادو بــه ابآ لمردوخ) التعبير عن عــدم ارتياحه لاجراء الاله أنليــل هــذا ويظهر احتجاجه وتكون النتيجة غضب الاله انليل تجاه هذا الاحتجاج ويقرر بعدئذ مانعرفه بالطوفان ، والقصة من فعلة القضاء على كل الانواع مــن البشر على الارض وبمعونــة الالــه انكي ينجو مــن الموت أترخاسيس وعائلته فقط وينجح الاخير ليكون مجموعة جديدة من البشر على الارض ·

وبين رغبة الاله انكي في انقاذ البشر الجديد وبين رغبــة انليل في عدم تعريض عالم الالهــة الى الاضطراب والفوضى نجــد ان الجيل الجديد بعــد أترخاسيس والطوفان يتعرض الى عدد من الحــوادث تذكرنا بنظرية مالثوس ، فنجــد تعرض الجيل الى عوائق معينة تحيل بينه وبين زيادة السكان ونجد تعابيرا واضحة في القصة تنورنا عن ذلك ومنها :

« من الان لن يبــق الا الثلث من مجمــــوع البشرية القديمة · بين جيــل البشر ، ســوف يكون العديد من السنة العاقرات · والى جانب المخصبات ، هناك شيطانة تخمد (هذا الاخصاب) ، وتأتي لتفصل الاطفال من احضان الامهــات اللاتــي ولدن اطفالهن ، وتصبح الامهات بعدئذ كاهنات من الطبقة الاولى والثانية ، كذلك يصبحن عاملات في المعبد ، ولمنع الرجال من الاتصال بهن ، فقــد حرمن من انجــاب الاطفال · »

الترجمة هذه من اصل الرقيم الطيني لسنحمة: XLVI, PL: XX وهي مترجمة من قبل البرفسور جان بوتيرو ، أنظر :

Annuaire (1968-1969) : École Pratique des Hautes études. IVe section. P: 83-84.

انظر ايضا :

W. G. Lambert and A. R. Millard: Atrahasis, The Babylonian story of The Flood. oxford, 1969. P. 1...

باسم انكي عند السومرين) وذلك من اجـل خلط الطين مع دم اله مذبوح كقربان • ومن قطعة الطين هذه اخذ الاله « ايا » اربعة عشر قطعة وضـع سبعة منها على جهته اليمنى) والسبعة الاخرى على جهته اليسرى ووضع الاخيرة على شكل طابوقة • وبتعبير كلامي من الالهة مامي يتم خلق سبعة ازواج بشرية من الجنسين تكون مربوطة من حبال السرة بالطابوقة التي تمثل في هذه الحالة الرحم ، ثم تنهي الالهه مامي كلامها بالتعبير التالي : (خـلال تسعـة ايـام تبقى الطابوقة على الارض) واننا من خلال هذا الشاهـد نفهم ان التسعة ايام التي وردت في كلام مامي تطابق اشهر الحمل التسعة الطبيعية عند البشر وهذه الفترة المحددة نجدها ماخوذة بنظـر الاعتبـار في اسطورة سومرية تعرف بأسطورة انكي وننخرساك حيث نجد فيهـا ان الالهة ننمو Ninmu [1] تستسلم فيحجرها بذور الاخصاب من الاله انكي •

في يوم واحـد تنهي الشهر الاول من الحمل وفي يومين تكمل الشهرين منه وفي تسعة ايام تكمل التسعة اشهر وفي شهر الولادة تلد ننمو الالهةنيكورا Ninkura • •

والالهه المولدة تخصب بدورها من قبـل الاله انكي وتكون مدة حملها منه بنفس المعادلة او القياس الزمني السابق[2] •

الشهر الواحد يعادل يومـا واحدا ذلـك لان الزمـن في الاسطورة ذو قيمة مختلفـة عن الواقـع والشعور بهذا الوقت المختلف يكون لاعتبارات شبيهه حيث ان كل اعتبار معين او نقطة معينة تساوي وحدة مجموعة •

ان هذا الاعتبار يذكرنا بالمعنى المقارب الـذي يعطيه التعبير pâlu وهذا التعبير يحدد سنة من سني الحكم وكذلك يحدد كل فترة الحكم ويحدد ايضـا فترة حكم سلالة بكاملها • ففي حالة التعبير : palû بقصد تقليص الفترة الزمنية بمراحل تتعلق بفترات مشابهة من نفس النوع ولكن ذات المراحل الزمنية مختلفة • وعندما نجد في الاسطورة ان اليوم الواحد يعادل شهرا فان ذلك يعني ان مـدة التسعة اشهـر اللازمة للحمل الطبيعي قد اختصرت واستعيض عنها بتسعة ايام : فترة الحمل الالهـي • وبأتباع نفس الاساس في القياس الزمني نجد ان العشرة ايام التي كانت مخصصة للاحتفال بعيد الاكيتو[3] akîtu هي في الواقع موعد لكل فترة السنة حيث تعظيم دور الاله مردوخ في تنظيم الكون والعالـم ويكون ذلـك بتلاوة نصوصـــ من ملحمـة او اسطورة الخليقـة الاينوما ايلش ، وبعظم الاله بابل على انه حلل الهه السماء والارض ، ويأمل لمثل مردوخ على الارض وهو الملك ولشعبه مصيرا حسنا في الاثني عشر شهرا القادمة •

ان اسطورة الخليقة تصف اذن كيفية ظهـور تيـامت[4] والابســو Tianatiapsû بشكل

---

(١) الالهة ننمو ابنة الالهة ننخرساك :
انظر : S. N. Kramer : L'Historie Commence a Sumer. p. 195.

(٢) نفس المصدر ص١٩٥ S. N. Kramer..

(٣) الاكيتو : بمعنى عيد رأســـ السنـــة البابلية ويجري في فصل الربيع وللعيد السنوي هذا ارتباط بعالم الزراعة •

(٤) الهة المياه المالحة •

تدريجي من اصول عديمة الحركة ويظهر التناقض بينهما كآلهة ذات قوة مختلفة وبنفس الوقت يكــون جبهة ضد القوىالالهية القديمة الاولية او الاصلية • اننا نجد الإبسو عنصر المياه العذبــة يندحــر اولا في نضاله وصراعه ضد هذه الالهة القديمة بينما تتابــع تيامت النضــال وتقود حربــا شعواء بقصــد الانتقــام لشريكها ابسو • وتجاه ضراوة تيامت وحلفائها من المخلوقــات الوحشية تقــوم الجبهة الاخــرى الالهــة القديمة ، بخلق بطل هو مردوخ وتنسبه كأبن للاله ايا وتمده بقوى خارقه وبأسلحة غير مرئية ويتمكن هذا من ذبح تيامت وباندحارها امام مردوخ وتكبيل اتباعها بالــسلاسل يعلن انتصار الالهة القديمة عــلى الفوضى ويبدأ بشكل جديد خلق الكونعلى الارض وبهذه الخلاصة لجزء من ملحمة الخليقة ننتقل من حقل عامل الزمن الى مفهوم المكان •

فبعد التمثيل بجثة تيامت وتقسيمها الى شــطرين يعمل مردوخ من احداهما السماء ومن الشطر الاخر الارض ، ونعرف ان المواد الاولية المكونة للارضــ كانت معدة من قبل الاله انو اله السماء وخلقه للتراب وبنفس الوقت للرياح الاربــع التي تثيره وتســبب حركته وهكذا فقد استقرت بالنتيجة موجات الاتربة على المحيطات المائية وظهرت بنفس الوقت المستنقعات وفوق هذه المادة المعمولة من الارض والطافية بشكل غير مستوٍ استفاد الاله مردوخ من القسم الثاني من جثة الاله تيامت ليكمــل به الشكــل الثاني لصورة الارض :

« لقد وضع رأس تيامت وعليــه نصب الجبال، واطلق المياه العميقة ليرتفع موج ، وفتــح في عينيهــا دجلة والفرات ، وغلق منخريها ليجعل فيها منابــع مائية ، وعلى ثدييها رفع الجبال العالية وقطــع فيهــا مسالك مائية ذات سيول ، ولوى مؤخرتها وطواهــا مثل الحبل[1] •

خلال هذا الوصف للارض وصورتها يمكن ان يتخيل المرء انها اصبحت بشكل سد مانع لحصــر سيول المياه الغزيرة • وفي اوصاف تقليدية اخرى خاصة بتكوين العالم نجدما يخص القســم الجنوبي من وادي الرافدين حيث ظهور الفكرة المتعلقة بخلق الارضوانها تنطلق من نقطة ذات صفة خاصة مميزه، ونجدفيتراتيل دينية خاصة بتطهير معبد بورسبا بداية تذكر :

« عندما لم يكن اي شيء مخلوق بعد ، معبدا كان او مسكنا للالهه ، قصبا اوشجرا ، طابوقا اولبنا، بيوتا او مدنا ورجالا ومدنا مقدسة مثل نيبور والوركاء بمعابدها التي لم يكن حتى الابسو كائنا بعــد ، ولــم تكن حتى مدينة اريدو مشيدة وكل البلاد لم تكــن الا بحرا يتدفق منه ينبوع من الماء ، وبعد ذلــك فان اريدو تشيد اول الامر ، ويشيد معبدهــا ، كذلــك تشيد بابل ومعبدها ، ويشيد ايضا بعد الايزاكيلا[2]»

---

(١) R. Labat, les origines et la formation de la terre dans le Poème Babylonien de la création, P. 7-8

(٢) الـ E-Sag-il : ويعني المعبد ذا الهيكل او القبة المرتفعة والكائن في مدينة بابل • انظر للتوسع ، جان بوتيرو : الديانة عند البابليين المترجم من قبلنا ص ٤١ • (المترجم)

ومن خلال الوصف السابق للارض نجـد ان المعبد كان اول ما شيد عليها وذلك من قبل الالهه وهذا المفهوم لاول مكان مقدس ، ومنطلقا منه تكاثر الخلق والنسل ونجد ما يشبه هذا المفهوم عند الاغريق مثلا: فقد ، عمل هؤلاء من مدينة دلف Delphes[1] سُرَّة المعالم والكون . كذلك نجد ان الكتاب العرب يذكرون الكعبة بمكان يابس يطوف على الماء وذلك قبل ان يخلق الله السموات والارض باربعين عاما . وهكـذا نجـد ترابطا بين هذا المفهوم الاخير لموضع ومكان الكعبة وبين ما اراده القدماء من مدينة القدس ومعبدهـا وكونهمـا مركز الارض .

والتقاليـد الخاصـة بنشوء الكـون استنـادا الى مصادرنا من التراتيل الدينية الخاصه بوادي الرافـدين تذكر ان الاله مردوخ يقوم بحياكة بنـاء من القصب فوق المياه وذلك بعد خلقه للتراب الذي جعله مكدسا فوق البناء ، وبعد خلقه لمعبد الايزاكيل في بابل . اننا نجد هنا عنصرا يثبت ان الارض استعيض عنها بالحصير المصنوع من القصب المغطى بالتراب ويراد بها المكـان المقدس وهو هنا بابل . ومن المحتمل ايضا ان يكون اصل المفهوم هذا رمزا لمدينة اريدو وابدل المكان ، بعد ازدهار بابل على يـد السلالة الاموريـة بمدينـة بابل .

ونشير ان اسطورة الاينوما ايليش تورد بابل على انها المدينة الاولى التي شيدت . ويرد في نهاية الرقيم الخامس من الاسطورة : « ان الارض عندما لم يكمل تكوينها كليا ، وضعت على الاپسو ، وكان قصر الالهه أزل بناء يشيده عليها الاله مردوخ ، وكان هذا البناء ، العمل الحقيقي على الارض وسمي الايشارا ، Esharra الذي يعني بيت السماء .

كذلـك نجد الانسجـام الحقيقي بين السمـاء والارض حيث يرد ان كل ما في السماء يوجـد لـه انعكاس على الارض وبالعكس . ولقد وجدنا بـان العناصر المكونة المكون كانت محضره مسبقا من قبل الخالق ، وليس فقط المادة الاولية التي منها صنعـت الارض ، فالتراب كان موجودا وكذلك الرياح التي حركت الاتربة هذه وسببت تراكمها في مناطق مختلفة . وفعل مردوخ يتركز في الواقع في صياغة هذه المـاده الاولية وتنظيم العالم منها . لقد بدء مردوخ فعله او عمله بفصل السماء عن الارض وذلك بواسطة قطـع الالهه تيامت بشكل عرضي الى قسمين (كما يفعـل صيادوا السمك العراقيون باسماكهم حتى اليـوم) والتنسيق الذي فرضه الخالق على المحيط او المنـاخ العام للارض لم يكن كاملا او منظما بعد ، اي انه ما زال في حالة فوضى ، ولم يكن تنسيقا نهائيا ، فكـان يكفي حدث بسيط ليعيد اليها اختلال التوازن وعـدم الاستقرار .

وهكذا نجد ان اسطورة اترخاسيـس تذكـر

---

(١) مدينـة دلف ، احدى المدن اليونانيـة القديمـة وتقع في الاطراف الجنوبية الغربيـة من مرتفعات پارناس . تعتبر هذه المدينة من المدن التي احتوت على اكبر الكنوز التي ضمت نماذج عديدة مـن فنون النحت الاغريقي القديم ، ومن ابدعها نماذج اپولو ، وتعرف عنها نماذج عديـدة اخرى معمولة من الذهب والفضة سرقها الغزاة من الشعوب المجاورة وذلـك خلال الحروب المقدسة ضـد مدن اليونان في عام ٢٧٨ ق.م (المترجم).

مبادرة الاله انليل سيد الريح والماهض للبشرية ووجودها لوضع خطة لتدمير البشرية المخلوقة[1] التي ستصبح بالنتيجة ، وبرغبة الالهة مثيرة للضوضاء والفوضى وتتكرر عملية الصراع في اسطورة الاينوما ايلش بين الآلهة الشباب التشطين ذوي البطش المتطور خلال تطور الاجيال وبين القوى الاخرى المتمثلة بالالهه القديمة الساكنة ، وذات النشاط النيزياوي العتيق ، ويكون حليفا لقوة الالهة الشابة القوى البشرية المتزايدة عددا ونوعية ، اما النتيجة فتكون ضوضاء عارمة تجتاح الارض مثل ثور هائج ، وتسبب هذه الضوضاء في منع الالهة انليل ، اقوى الآلهة في الارض • من النوم الهادي[2] •

ان زيادة عدد الرجل على الارض بشكل كبير نلمسه في اسطورة الاينوماايلش وعلى اساس ان هذه الزيادة تكون عنصر تشويش يجاوز حد تحمل الالهة ويعتبر كفعل تخريبي فانه يستلزم بالنتيجة العقاب الصارم •

كذلك يظهر في الاسطورتين : الاينوماايلش واترخاسيس ، تضاد واضح ورئيسي بين ما هو مرحلي وبين ما هو في تطور وزيادة من الناحيتين العددية والنوعية • ففي اسطورة اترخاسيس نجد ان البشر قد خلقوا من قبل الالهة لخدمة وتأمين راحة طبقة من الالهة ، الاكيكي[3] ، ذلك لان واجبات الالهه متعبه جدا ، وعندما يصبح تطور البشر مقلقا ومخيفا للالهة نجد الاخيرين يخططون لما يعرف بالطوفان ، فالبشرية بالنتيجة تنهي بهذا الحدث دوره او مرحلة • والهارب الوحيد من هذا المصير هو ، اترخاسيس والذي يعني اسمه:العاقل جدا او الحكيم ويمثل امل البشرية والعنصر الذي منه تبدأ الدورة او المرحلة الجديدة المعروفة بـ «ما بعد الطوفان» والتي تأخذ مجراها التطوري وتسلسلها الجديد ضمن مراحل الزمن ، وهكذا فالطوفان يمثل نهاية دورة زمنية ، وبداية دورة جديدة •

ونجد اترخاسيس ممثلا لدور البطل في الاسطورة ومعه زوجته وافراد عائلته واقربائه الحرفيين الذين اصطحبهم معه في القارب Elippu الذي كان يقوده الاله ايا باتجاه تراب الارض ، ويرد هذا التعبير الاخير في النص الاشوري من الملحمة ،اما في ملحمة الطوفان فنجد ذكرا للقارب ثم القصر ويعني هذا البناء الذي التجأ اليه اوتوناپشتم ـ الرقيم الحادي عشر من ملحمة كلكامش • ان قياسات هذا البناء تحسب على اساس انها متكونه من ٣٦٠٠ م٢ و ٦٠ مترا للارتفاع ، واما السقف فيكون بطول ٦٠ م من كل جانب ويلاحظ ان الشكل يبدو اقرب الى المكعب وكل ضلع فيه ٦٠ م • وفوق المكعب هذا عملت ستة جسور متوالية بشكل يصبح فيه المكعب مقسما الى سبعة طوابق ، مثل عدد ايام الاسبوع ، ويكون سطح

---

(١) W. G. Lambart, A. R. Millard, Atrahasjs, the babylonian story of the flood. P-66-67

(٢) حول السبات الالهي انظر دراسة المؤلفة « الابهة الالهية » المعروضة من قبلنا في مجلة سومر العدد ٢٤/١٩٦٨ ص٢٣١٠٠٠ انظر ايضاً كتابها La splendeur Divine انظر ايضا : Lambert-Millard. ibid. P 66..

(٣) الاكيكي : تعبير اصله سومري ويشير الى مجموعة الالهة من الدرجة الثانية ومقر هؤلاء في السماء ويعتبرون اولاداً للاله الكبير آنو Anu وينفذي خططه ايضاً (المترجم) •

كل طابق مقسما بدوره الى تسعة مرافـق • ومـن ملاحظة الارقام هنا نجـد استعمال مضاعـف الرقـم ثلاثة الذي هو ستة وتسعة وهذا مشابه لما نجده مـن الارقام الخاصة بالمخبأ الارضي المسمى قارا في كتاب الأفستا[1] حيث يكون القسم الاول من المخبأ مقسمـا الى تسعة اقسام ، والقسم الوسطي الى ستة اقسـام والقسم الاخير الى ثلاثة اقسام[2] • ان الرقم ثلاثة ومضاعفاته تظهر ايضا في التفاصيل الخاصه ببناء سفينة اوتوناپشتم ايضا ويرد في النص : « ستة اوزان مـن القار وثلاثة اوزان من النفط الخام ، وثلاثة اوزان من الزيت ••

وفي الشكل المكعب الموصوف الابعاد سلفا اختبأ اوتوناپشتم واتباعه عندما عصفت الريح •

« •••تعصف الريح فترة ستة ايام وسبع ليال، والطوفان الهائج انسجم في ارتفاعه في البلاد » واخيرا عندما هدأ الطوفان نجد النص التالي : « ••• وكان الصمت وتحول البشر الى طين ، وكان ارتفاع المـاء مستويا كالسقف •• »

لقد اغرقت المياه وغطت كل الارض ما عـدا اقاصي البحار او غرق جبل رئيسي في الاربعة عشر اتجاها ، وعلى احد هذه الجبال ، قمة Nitsir حط اوتوناپشتم •

احدد من تفاصيل هذه الملحمـة المعقـدة : ان مكعبا يطوف على سطح الماء ، المغطي لكل الارض ، بين السماء والارض وفي مساحة محددة ، لم يكن هناك اي عنصر مادي صلد غير هذا الصندوق المكعب وفي داخله : رجل واتباعه مع بذور عالـم مختف ، والمرحلة هنا مرحلة عالم ما قبل الخليقة ، وهكذا ، وبهذا المناخ من التتابع تكون ملاحم واساطير الخليقة•

ان الطوفان يرمز ويمثل في الواقع عكـس مـا يراد بالخلق ، وتعتبر العملية الاخيرة قبل كل شيء، مسألة تمييز ومن ثم تنظيم للمكان والى هذه المرحلة يكون انتصار الفوضى غير كامل بعد[3] •

رغم كل ما سبق ذكـره نعرف ان « تقاليدا » مكتوبة اخرى تؤكد ان اماكن مقدسة ظلت سالمه ولم تصلها مياه الطوفان المدمر ،ان من امثلة هذه الاماكن: مدينة سيبار ، وهي مركـز مهم من مراكـز عبـادة وتقديس الشمس واله الشمس في القسم الشمالـي من بابل • كذلك نعرف عن وجود ارتباط بين هـذه الاماكن المقدسة ، التي لم تستطع مياه الطوفـان مـن الوصـول اليهـا وبين العـالم الصغير المحـدد (Microcosme) الذي منه جاءت عملية الخلق •

ان كل مركز من هذه المراكـز المقدسة لعـب دورا رئيسا يشبه دور النواة في حيز المكان الاصلـي القديم او الاولي ، ويمثل ايضا قوة مناقضـة ، وعلى طول الخط ، للقوى الممثلة للفوضى • ودور هـذه الاماكن يشابه دور المكعب الـذي عرف انه يغوص

---

(١) الاڤسـتا : هـو الكتـاب المقـدس للزردشتيين •

(٢) E. Benresiste, traditions indo-iranlennes des classes Sociales, Journal Ariatique, (1938) P. 119.

« المؤلفة »

(٣) يراد بالفوضى هنا ، وفي اماكن اخرى ذكرت في مضمون الاساطير موضوعة البحث ، اختلاط عناصر المادة في اوائل خلق الكون وبدايتـه ، قبل تنظيمه من قبل الالهة ـ (المترجم)

بمقدار ثلثيه في الماء ويظهر فيه على سطـح « ميـاه الطوفان » الثلث المتبقي الذي يصـل تقريبا الى علـو السماء • وهذا الصندوق المكعـب هـو بمثابة نـواة الارض ، انه العالـم الصغير ، انه المكان الـذي قاوم عناصر التخريب الوحشية التي اطلقها انليل •

ولقـد كـان انتهاء وظيفـة ووجود الصنـدوق المكعب بانتهاء الطوفان ، ويمثـل الاول : الارضـس كوحدة مكانية منظمة ومشتركة ، ذلـك لانه وكمـا تعكسه الاسطورة يمثل اداة او الة النجاة وسلاحـه تحت تصرف اوتوناپشتم ومعيته • اننا نجد في النص الاكـدي للاسطورة غموضـا فيما يخصـس مؤسـس المجموعة البشرية الجديدة بعد الطوفان • كذلك لا نجد اية اشارة تخصـس مرافقي اوتوناپشتم وزوجته داخل المكعب • وان قرار الالـه انليل بالعمـل على تدمير البشرية ، ونجاة الهارب الوحيد وزوجته من الدمار المفروض على البشرية •

ان عدم قبول الاله ايا بقرار الاله انليل الخاص بتدمير البشر يةيدل على دهاء مخطط ، ذلك انتيجة ومصير الهارب من دمار انليل المحتوم انه اصبح الها، ويذكر المؤرخ بيروس[1] في روايته الخاصة بالطوفان ان هناك تفحا الهيا خاصا ، كائنا في شخص الهارب هذا ، او بعبارة اخرى انه مؤله ، والذين معه ، وهم الذين تم انقاذهـم ، فعادوا الى مدينة سيبار المقدسـة ونقلوا علومهم وحكمهـم الى اولادهـم والاجيـال اللاحقة •

ومن جديد نعود الى الصندوق ونجد العلاقـة الوثيقة بينه وبين تمثيل شكل الارض وذلك حسب المفاهيم البابلية ، هذا اضافة الى العلاقة الموجودة بين الصندوق وشكل الارض ومـا تجلـه مـن تشابه في هذه العلاقة بما هـو موجود في التقاليـد العراقيـة واليهودية والعربية ونلمس في هذه التقاليد انها ذات مفاهيم من اصـل بابلي • كذلـك نجـد في النصـس الاشوري لاسطورة اترخاسيس ان الاله ايـا يأمـر العاقل الحكيم اترخاسيس ببناء قارب ويعلـق الاخير عجزه عن تنفيذه ، وعلى تراب الارض يخطط الاله نفسه شكل مكعب ، ويعني هذا ان الاله حـدد على الارض حيزا مكانيا مربع الزوايا وهو شكل السفينة• والتفسيرات الاخرى لعمل الاله هذا عديدة ومتناقضة• ان اول الاشياء التي تستجلب الاولوية في التفكير هو ان الها يقوم بتخطيط مادة معينة ويعني هذا ان الاله خالق للمادة هـذه ، ويكون مفهوم السفينة ، مثـل الارض من خلق اله ، ويعتبر الحيز المكاني المحـدد على الارض من قبل الاله ايا عالما صغيرا على الارض Microcosme كذلك فان الجزء المكاني المربع يعني ويشير الى السفينة الممثلة في الواقع للارضـس ، وبتعبير اخر الارض نفسها •

وفي الواقع فان هناك تقاليد عديـدة اخـرى او مفاهيم تشير الى الشكل المربع بشكل الاشارة الى « سرة الارض » • ولقد كانت مدينة بابل حسب ما يذكـر

---

(١) بيروس : كاهن بابلي في معبد بيل كتب باللغة الاغريقيـة في حوالي عام ٢٨٠ ق•م تاريخ بابل في ثلاثـة اجزاء ، ويتبع في وصفـه لما يخص نظريتـه في خلق العالم اسطورة الاينوماايليش • انظر : جان بوتيرو : الديانة عنـد البابليين ص ١٤١ « المترجم » •

المؤرخ هيرودوتس[1] ذات زوايـا مربعـة بوحدات قياسية متشابهة من كل جهاتها • وهـذا واضح على اعتبـار انهـا مربعة الزوايـا ايضـا • وفي اسطورة الاينوماايلش ، يسبق ذكر الرياح الاربعة المخلوقة من قبل انو اله السماء ، ذكر الرياح السبعة ،وينطبق هذا على شكل الارض المربع الزوايا •

اننا نجد ايضا ما ينورنا عن مفاهيم سكان وادي الرافدين لمفهوم المكان خلال التقاط المذكورة الخاصة بالزمان عندهم : ففي مجال عالـم الاسطورة وعالـم الحياة الاجتماعية وبصورة خاصة في الاحتفالات،نجد تعادلا بين اليوم والشهـر والسنة وتعادلا بين المكـان ممثلا باجزاء مصغرة وبين الارض ككل • كذلـك نلمس تعاقبا بين ما هـو متعلق بخلق مكـان محدد بتنظيم وبين ما هو متعلق بالعوده الى القلق والفوضى•

ان تأثيرات البيئة الجغرافية ذات اثر بالغ فيهذه المفاهيم ، فالتبدلات المفاجئة والسريعة التي تحدثهـا فيضانات الربيع المتأخـرة لنهري دجلـة والفـرات وخاصة في منطقة بابل السهلية وتحول هـذه المنطقة الى سطح مستو واسـع المنظور مغطى بالطين ، كـل هذا يمكن ان ينسب الى طريقة تفكير ومفهوم يأخذان بنظر الاعتبار ، ان كل شيء يمكن ان يتبدل او يتغير بين لحظة واخرى •

ثم نعرف عن تبدل مجرى النهرين ، دجلـة والفرات ولمرات عديده خـلال العصور ، كذلـك طبيعة الارض غير المستقرة التي اثرت وبطبيعة الحال بتمثيل مفهـوم المكان بركامات الاتربـة مثلا والتي اريد بها ان تقوم بوظيفة صد مياه الفوضى ، ثم نفهم عن احتمال انهيار هـذه الركامـات او السـدود بين لحظة واخرى امام المياه الهائجة •

ان الطوفان في النصوص ذات الطابع الديني والتاريخي بصورة خاصة كان بقصد اظهـار تجربة قياسية وتلن التجربة كانتمعاناة بلد وأمة وهي نتيجة من نتائج الحرب والصراع والاندحار • وتشبه غارة الاعداء على بلد ما بـ « الطوفان :abûbâ-nish » وهنا كناية واستعارة عن تدمير جيوش الاعداء لكـل مـا يجابهها ، وعن جعلها للمدن المندحرة المقهورة اشبه بالارض المستوية وحالتها في اضطراب كلي • ويراد بذكر الطوفان ايضا : انه تعطيل للحكم المنظم وشل للقوانين وتطبيقها ، ونتيجة هذه الاحوال خضـوع هذا الشعب المندحر وفقدانه نظمه وقوانينه المحددة والمميزة لصيغة وطبيعة شخصيته ، ومن ثم فقدانـه لكل مقومات كيانه وشخصيته •

وانعكاس هذه المفاهيم الخاصه بالشعوب نجده ايضا في صيغ قانونية عديده ومتكرره[2] ، كذلـك فان نصوصا قانونية تكون مرتبطة بهذه المفاهيم ومن ذلـك طريقـة تأجيـل دفـع الديون ، وفي نفس

---

(١) هيرودتس : كبـير المؤرخـين الاغريـق المعروف لدى العرب بـ (أبو التاريخ) ولد في مدينة هاليكاوناس حوالي عـام ٤٨٤ ق٠م وتوفي حوالي ٤٢٠ ق٠م • رحلاتـه مشـهورة يروي في مجلدات الحوادث والاساطير التي عرفتنا بحضارات المعديين والميديين والفرس وحضارة وادي الرافدين والحضارة الاغريقية • « المترجم » •

(٢) انظر مقال المؤلفة الخاص بهذا الجانب من النظم والقوانين في وادي الرافدين :
Symboles de cession immobiliére dans l'ancien droit méropatamian, Année Socialogique, 1952 (1955) P. 118 et: JESHO, V. 2 (1962), P. 134-137 « المؤلفة »

المضمون مفهوم : « اعـادة الحـق او العدالة » ، misharam sha Kânu ان مفهوم هذا التعبير نجده في استعمالات الملوك بصورة خاصة وذلك حين الكلام عن الوضع الاقتصادي او في حالة الرغبة في اطلاق سراح الاشخاص والاموال التي تخضع لنفس المفهوم المتعلق بالمستقبل الدوري ، كذلك نجـده في تتابـع الزمن الدوري في عملية الخلق والعوده الى المادة والشيء غير المخلوق بعد ، وفي الحالة الاخيرة فقط نجد ان الذي يلعب دوره هـو مفهوم او حالـة الرجوع الى الفوضى •

فالملك يصدر مرسوما ليعيد الحقوق المغتصبة مثلا او يصدره للحيلولـة دون الوقـوع في مـأزق اقتصادي وذلك في حالة يكون فيهـا الافـراد مثقلين بالديون وفي وضع غير جيد من الناحيـة الانتاجيـة وتكون البلاد في وضع ركود تام • وان اي معالجـة تسبيه لبعض هذه الاوضاع يعني محاولة خلق حالة من المساواة بين الافراد وهكذا فان سيد او ملـك العدالـة "Shar misharim" • يكون عملا هـو بمثابة الطوفان ويقضي هذا السيد على كل عائق في طريق تنفيذه •

ان الوضع او الحالة الجديدة الناتجة من تنفيذ رغبة الملك باحداث الطوفان يعود بنا الى الابتداء من منطلق الصفر لنسترجع حالة النظام والقوانين وذلك بعـد تعطيـل كـل اتفاقيـات الديون الدائـرة بين الافراد[1] • ان هذا الفعل في الواقع هو رجوع الى الفوضى والقلق بحجة الغاء الديون اكثر من ان يكون معالجة طبيعية وتذهب مطالبة اصحاب الاموال لمدينتهم هدرا[2] •

ان قرارات من هذا القبيل كانت مألوفة من قبل السلطة وبشكل خاص خلال حكم السلالة البابلية الاولى في مدينة بابل وبصورة خاصة خلال تسلـم الملـوك للسلطة وفي السنة الاولى او الثانية من سني حكمهم• وتفسير ذلك واضح نتيجة للاحداث التي يجابههـا الملك في بداية تسلمه للسلطة•وتعتبر هذه الاجراءات معبرة عن بدء مرحلة زمنية جديدة[3]• وهذا ما اريد به من استخدام التعبير palû الوارد تفصيل مفهومه في نماذج سابقة •

ان اشكال البيوت السكنيـة في مناطـق وادي الرافدين الفسيحة الهمت كذلك انسجاما في التسلسل التاريخي لاشكال المدن البابلية عـلى الصورة التـي وردت في اسطورة الطوفان • ومن خـلال الوثائـق المكتوبة المتوفرة نعرف ايضا ان الفروق واضحه بين طراز المدينة وطراز سكنـى الريـف • ان الحيـز المكاني المحدد وفوقه شكل المدينة يتميـز بوضـوح وعناية بناء الريف المحيط بالمدينة وكذلك يتميز عن ابنية الاراضي المتموجة القريبة •

ان عناصر التمييز واضحة لغويا ايضا ففي اللغة الاكدية يتميز الاصطلاح الخاص الدال على كل وحدة

---

(١) انظر
J. Battéro, J. E. S. H. O IV, 2 1961
(المؤلفة) ..... P 143 ..... P. 113

(٢) ان محاولة اعادة روح العدالة بتحرير العبيد مثلا تسبب تراكما في الديون على الاخيرين ايضاً (المؤلفة) •

(٣) في الواقع ما زال الاخذ بهذا المفهوم في عالمنا المعاصر في الشرق بصورة خاصة فالقول ببداية صفحة جديـدة والبداية من جديـد ، وفتح صفحة بيضاء•••• كل ذلك دليل على مفهوم دورة او مرحلة زمنية جديدة (المترجم) •

معمـارية ونعـرف ان الكلمـة alu تعني المساحـة المسطحة من الحيز المكاني ذات الشكل الدائري • كذلك نعرف ان المدينة الواحدة في بدايـة نشـوء العمارة في وادي الرافدين كانت محاطـه بجـدران تتخللها بوابات وتكون تقوية هذه الجدران بواسطة الابراج المعروفة[1] • ان بوابات المـدن في مفاهيم حضارة سكان وادي الرافدين القديمة تمثل نقطـة العبور بين الحيز المفتوح الخارجي والحيز المكاني المحدد للمدينة، والحيزان المكانيان يكونان مختلفين ايضا من الناحية النوعية • ان للباب ايضا معاني واسعة : انها في الاكدية اولا bâbu وهي تعني ايضا نوعا من الحيز المكاني الذي يتعلق بالقسم الخارجي من المسكن او البناء • ونقول من الباب والى الخارج المتضاد ، مع : من الباب والى الداخل • ونجد ايضا انـه في حالـة الموافقة على تزويج بنت او بيع عقار ثابت بدون موافقة الاسرة او العائلة نجد استعمالا للتعبير: «خارج الباب» • "ana bâbi." واستعماله في الحالتين السابقتين يدل على ان الانتقال خارج الفضاء او المكان « العائلي »اي الى العالم الخارجي[2] • ويستعمل الاسم bâbanu المشتق من bâbu ليعني مفهوم الفضاء الخارجي او المكان الخارجي الذي يشكـل تضادا مـع كلمـة bîtanû المشتقة من bîtu والتي تعني البيت، كذلك يشكـل تضادا مـع libbanu المشتقـة من libbu التي تعني القلب وتعني ايضا داخل •

وكذلك تشير وتعني كلمة bâbanu الجزء من المكان المشيد الذي يوجـد خارج سور المدينـة Extra muras وهو الجزء المضـاد لجزء المدينـة والواقع في داخل اسوارها الخارجية : ina Kerhi وهكذا نلمس بوضوح مـدى عمـق مفهوم حـدود الباب سواء كـان المقصود ، باب دار السكن او باب المدينة وان وجه او جزء الباب الخارجي هو الاكثـر اهميـة ومنطلقـا منه يبـدو محيط مجـال الفضـاء الخارجي •

كذلك فان كل مخطط ذي حيز مكاني في وادي الرافدين يمثل ويرمز الى قوتين متضادتين : الاولى قوة جاذبية نحو المركز تحـاول تركيز عـالم الادارة والديانة في قلب المدينة وكذلك في داخـل القصـر والمعبد واما القوة الثانية البعيدة عن المركز فتحاول ان تجعل من الابواب اقطاب جذب للعالم الاقتصادي ككل وبنفس المفهوم المتعلق بالمكان ، مجال الارضية Karîun الممتدة على طول النهر والقنال ومنطلقـا من الابواب الخارجية للقوة الاولى يمكـن الاتجـاه نحو الفضاء او الحيز المكاني الخاص بمدينة ثانيـة حيث الحاجة الى الاسواق • ان مناخ هذه الوحدات المكانية يناقض ما يقال من ان طبيعة بعض المدن الممتدة احيانا على جزر ، تتوفر فيها امكانيـات بنـاء عوالـم

---

(١) من الناحية المادية ومن خلال الحفريات التي اظهرت مخططات المـدن واسـوارها في وادي الرافدين القديم تعرف شيـوع الاخـذ بهذا المبدأ المعماري الذي يتميز بالطابـع الدفاعي العسكري وطابع المركزية في السلطة على مجموعة معينة من الافراد وبضمنها المكان • (المترجم) •

(٢) ان تعابيرا مشابهة من ناحيـة اللفـظ والمضمون نلمسها متداولة حتى بين الافراد في عراقنا اليوم سواء في حالة تزويج الفتاة ومغادرتها لمحيط عائلتها وانتقالها الى عالم عائلي جديد او بالنسبة لبيع دار السكن الذي يرتبط بمفاهيم ومعاني عميقة المغزى بالنسبة لمشيده الاصلي ومالكه (المترجم) •

اقتصادية مستقلة او منفردة • في حين ان الواقع المادي لهذه المدن من الناحية الاثرية يثبت عكس ذلك اذ ان وجود الاسواق كائن في داخل المدن اي في مركزها •

وان القسم او الجزء من الارض الواقعة خارج جدران المدينة يكون بمثابة ضاحية للمدينة ، ويكون هذا القسم متميزا بجوه العام قياسا الى جو المدينة ويكون هذا بنفس الوقت تابعا لها اي للمدينة • اما الحقول الزراعية الممتدة في السهول وحتى المناطق المتموجة فيعبر عنها ايضا بالعالم الخارجي قياسا بالعالم الاقرب الى المركز وبالنسبة للمناطق ذات الاراضي المتموجة فتعتبر قاحلة ، وهي مناطق سكنى الحيوانات المتوحشة والشياطين • وهكذا تكون كل مدينة عالما مصغرا Microcosme ومستقلا ويكون هذا منفصلا بفضاء واسع غير مسكون او مأهول من قبل مجموعة بشرية اخرى من عالم مصغر اخر ، ويعني هذا عدم وجود مدينة اخرى مرتبطة بطريق خاص او بواسطة قنال بالمدينة الاخرى •

وان تمركز الحياة الاجتماعية تصوغه كل مدينة من بيوت السكنى ومن قصر المدينة ومركز الحكم او الملك ومن ثم المعبد ، والاخير اكثر الاماكن حساسية في تكوين المدينة ، والذي يسمى باسم اله المنطقه،وتكون مجموع هذه العناصر الصفات الخاصة للمدينة وتميزها بانفرادية معينة • وهكذا نجد ان مدنا مثل الوركاء وسيپار وبابل ومدن عديدة اخرى في وادي الرافدين ظلت محافظة كل منها على شخصيتها المستقلة الخاصة المميزه • اما المشاكل التي لا مكان على كل مدينة من هذه المدن مجابهتها فلذلك بشكل خاص من العلاقات ونقول هنا ، ومرة اخرى ان كل مدينة من هذه المدن ، يعبر عنها انها اشبه بواحه يتعلقاتها الخاصه والتي ترجع الى ماض قديم جدا •

هناك عنصر اخر نلاحظ في سبيل هضم مفهوم المكان او الفضاء وهو المتعلق بروابط المفردات اللغوية المحددة للفضاء الفسيح المستوي والمفردات المحددة لاماكن المرتفعات الجبلية ، ونجد الكلمة Kur في السومرية وهي تشير الى الجبل وبنفس الوقت الى البلد او المدينة وتترجم مثل الكلمة الاكدية mâtu , shadû والاولى تعني الجبل والفضاءوالفسيح المستوي وبنفس الوقت تعني الصحراء ايضا • هذاء بينما نجد ان السومريين يفسرون المكان الجبلي بصورة ترادف العدوان وتعني اذن Kur عندهم ايضا : العدو •

وفي الواقع فان الهجمات التي تعرضت لها شعوب وادي الرافدين الجنوبية كانت منطلقة من الجبال الواقعة الى الشرق من هذا الوادي ، ومن هؤلاء المغيرين كان الكوثيون والعيلاميون والكاشيون • والتناقض الكائن بين المنطقة الجبلية والمنطقة المستوية ليس اكثر من مظهر وفي راي العلامة جورج دوسان[1] يقول فيه : « ان الاراضي المستوية الصحراوية التي تبدأ من اطراف وادي النهر تبدو للساكنين على اطراف النهر اكثر ارتفاعا من الاراضي التي يسكنون عليها » ونعرف ان بدو منطقة ماري « تل الحريري » يطلقون على المنطقة

(1) G. Dossin, Les Bédouins dans les textes de Mari, Studi Semitici 2. P. 42-43.

الصحراوية الواقعة بين سوريا والجزيرة العربيـة جبلا •

من المفاهيم الاخـرى التي تساعدنا على هضـم الموضوع خارج حدود الاطار الجغرافي نعرف ان الفضاء او المكان القاحل،مثل الجبل ، يمثل للبابليين وحشا فيه روح العداوة ويمثل ايضا للعالم الخارجي نفس المفهوم المستخدم من قبلهم Bêlit-sêri الذي يعني سيدة الارض او البلاد المرتفعة هو في الواقـع كناية لآلهة الجحيم ، كذلك سمي الاله نركال الـه جهنم وسمي بملـك البلاد او الاراضي المرتفعـة • والاله انليل المعروف بقساوتـه الجهنميـة ، سمي ايضا بـ « الجبل الكبير » KUR. GAL وسمي ايضا « سيد البلاد والاراضي المرتفعة » •

والكلمـة الاكديـة Arallû التي تعنـي العالم الاخر،تشير ايضا وترمز مرة الى الجبل ومرة الى الصحراء وتعني كذلك الارض الواسعة ذات انهضاب •

وكذلك نجد ان الاكديين اعتقدوا بـان حدود الارض محاطه بمجال مائي يحيط بارض مثل نهر طويل وخلف هـذا المجال المائـي اعتقدوا بوجود سلسلة جبلية تتكون من سبعة او اربعةعشر جبلا وعلى قمم هذه الجبل تتركز السماء وتكون هـذه الجبال بنظرهم ، حدود العالم •

ان منظور الاكديين للعالم بهذا الشكل(١) نجده مجسما في رقيـم طيني « محفوظ اليوم في المتحـف البريطاني » حيث رسمت عليه خارطة للعالم مثلمـا تصوروه: نجد الارض في هذه الخارطة كائنة في الوسط وسرة الارض هي مدينـة بابـل والارض محاطـة بدائرتين سموه : Nar Marrâtu: الذي يعني النهر المالح ، ويراد به المحيط • وبعد الدائرة الثانية نجد تخطيطا لسبعة اشكال مثلثة ذات ضلعين متساويين اما القاعدة فانها تكون محيطه بالنهر المالح ، ولقد كتب على كل مثلث وفي القمة كلمة nagû اي منطقه ويراد بهذه المثلثات بدون شك ان ترمز الى الجبال المحيطه بالارض ومن بينها الجبل المسمى Marhu الذي يـرد اسمه في ملحمـة كلكامش ويكون هـذا الجبـل في انتظـار الشمس كـل يوم في خروجهـا ودخولها ، وذكـر ان قمته تصـل الى حد انحدار السموات ومن الاسفل يلامس صدره جهنم •

ان كلمة اخيرة تتعلق بالمكان في وادي الرافدين

---

(١) في الواقع هناك نظريات متنوعـة فيما يخص خلق العالم والكون انطلق مـن قبل مفكري سـكان وادي الرافدين القديم ، وتلعب المياه المادة الاولى في عملية خلق العالم حسب الاساطير السومرية وهي الاصل في غالبية الاساطير التي عرفت فيما بعد سواء في وادي الرافدين او في مناطق الشرق الادنى القديم الاخرى ، ومن المياه ظهرت المرتفعات ومنها السماء والارض ومن الاثنين وتزاوجهما ولد اله الجو او الهواء وهو انليل الذي استطاع ان يفصل السماء عن الارض ، وحمل الالـه انو السماء ، واختصت والدة انليل ، كي ، بالارض وسميت كـي بعدئذ ننماخ : اي السيدة الكبيرة الى جانـب تسمياتهـا الاخرى • وولد انليل القمر « نانا » الذي اصبح ابا الشمس (أتو) • ومن اتصال انليل مـع كي جاءت النباتات والحيوانات والبشر وذلك بمساعدة اله المياه انكي • انظر للتوسع في عرض وترجمـة هذا الملخص كتاب :

S. N. Kramer: Sumerian Mythology. Philadelphie, P 40.

T. Jacobsen: JNES. 5 (1946) P. 128-152.

P. Garelli: Le proche-Orient Asiatique. paris, 1969 P. 288 .... « المترجم »

وتخص هذه الرياح الاربعة التي خلقها من قبل الاله آنو فمن اجل تحريك واثارة الفوضى نجد ان الهة السماء تقوم باثارة الالهة تيامت ، ولم تحـدد حركـة الفوضى باتجاهات في الفضاء فقط بل ساهمت هذه في تحريك واثارة الاتربـة التي انطلقـت لتحمـل اولى عناصر التميز •

وهكـذا فان اتجاهـات الحركـة في الفضاء او المكان وكذلك في الزمان تكون عنصرا ديناميكيا خلاقا بكـل معنى الكلمة • والريـاح تعتبر نفـث وكلام ، ودورها في الحياة اليومية يرجع الى ازمـان سحيقة ، ونعرف ان العلامة المسمارية التي ترمز الى النهار او اليوم وترمز الى الشمس تعني ايضا الرعد والعاصفة، كذلك من المحتمل ان تكون الرياح السبعة الخاصـة بالاله آنـو ، الهة قديمة في الاصل انحدرت بعد ذلـك لتصبح من ضمن طبقة الشياطين ولكننا نجد فياسطورة الاينوماايلش ان هذه الرياح السبعه هي من فعلوخلق الاله مردوخ حين التحضير لصراعه ضد الالهة تيامت•

نذكر ايضا ان اسـماء الرياح الاربعـة وهي حسب ترتيبها amurru ' shadû ' shûtu ' litânu ريح الشمال وريح الجنوب والريح الشرقية واخيرا الريح الغربية ، تشير هـذه الـرياح واتجاهاتهـا الى الاتجاهات الاربعة المعروفة •

كذلك نجد تسميات خاصة مثل يمين ويسار تدخل ضمن الكلام عن الشمال والجنوب ونجد ذلك مثلا في نصوص مدينة ماري « تـل الحريري »[1] ، وما هو متعلق بجبهة اليمين واليسار فاننا في الواقع لا نعرف في الاصل تمييزاً خاصا ومفهوما معينـا لما يراد بجهة اليسار في حضارة وادي الرافدين ، وذكر ريح اليمين يقصد به مثلا ريح الجنوب وهي ريح مؤذية بينما الريح من اليسار ويراد بها ريح الشمال تكون ريحا عليلة « طيبـة » •

علينا بعد ذلـك ان نفهـم اهمية تقسيم الحيز المكاني او الفضائي في مجال وضعية المدن في المنطقـة الواحدة اي مدن في جهة اليسار واخـرى في جهـة اليمين • كذلـك الحال بالنسبة للحقـول المزروعـة ويلاحظ في جهة الحقل كمية الضريبة المدفوعة وهي نسبة العشر •

كذلك في عالم الطـب وتشخيـص الامراض فنفهم من دراسات البروفسور رينه لابات: انتشخيص مرض ما في الجهة اليسرى من جسم المريض يمكن ان يحمل تفسيرا سيئا اكثر ممـا لو كـان المرض مشخصا في جهة المريض اليمنى • واخيرا فان اعتبار جهـة اليسـار بهـذا المفهوم يمكـن ان يكون بتأثير دراساتهم للكواكب والافلاك ومن تأثير علم التنجيم والعرافة والفأل ايضا •

---

(١) G. Dossin. ibid. P. 49.